الفصل الرابع عشر

لقد غادرت

إن أسوأ ما في الأمر هو العودة إلى غرفة نومٍ فارغةٍ إلا من أغراضٍ طالما أردتم التخلص منها وملصقاتٍ كثيراً ما جعلتكم ترون أحلاماً مروعة إلا أنها الآن وبحكم تعاطفكم معه تبدو جذابة، اسمحوا لأنفسكم بالبكاء أو بالقفز فرحاً ولكن لا تبدؤوا بترتيب الغرفة تحت أي ظرف كان لأن ذلك سيشعركم بحالٍ أسوأ، ولذلك انتظروا بضعة أيام حتى تعودوا لوضعكم الطبيعي إذ إن ذلك سيحصل في نهاية الأمر.

والأسبوعان الأولان هما أسوأ ما في الأمر، إذ ستستيقظون في الليل مذعورين وأنتم تفكرون فيما إذا عادت ابنتكم بأمان إلى غرفتها بعد حفلة الديسكو الأولى وسيستولي عليكم الذعر والمخاوف اللاعقلانية وستتبادر إلى أذهانكم مجموعة من الأسئلة مثل هل ما زالت في مكان ما خارج السكن؟ إن أفضل شيءٍ يمكنكم القيام به في هذه الحالة هو العودة إلى النوم بالرغم من أن ذلك قد يبدو قاسياً ولكن ما الذي يمكنكم فعله؟ هل ستتصلون بها باستمرار؟ انسوا الأمر فهي لن تجيب على الهاتف المحمول.

ومع مرور الوقت ستعتادون على غيابها، وبالرغم من أنكم ستظلون تفتقدونها إلا أن الألم/الراحة ستصبح عاديةً، وقوموا بالتحدث مع الأصدقاء والجيران الذين خاضوا التجربة نفسها، فلقد شعرت بالدهشة عندما أقرّ والدان طالما اعتقدت أنهما قاسيا القلب بأنهما تأثرا جداً لمغادرة ابنهم.

نصيحة

لدى مغادرة أبنائكم لا تقوموا برمي أغراضكم في أماكنهم لأنهم قد لا يجدون مكاناً لوضع أغراضهم لدى عودتهم إلى المنزل.

إن أروع ميزة في الهاتف المحمول (إذ إننا نعلم عن مساوئه) هي بقاؤكم على اتصالٍ مع أبنائكم شرط أن يتركوا أجهزتهم مفتوحة، ولا مانع من اتصالكم معهم في اليوم التالي لمعرفة ما فعلوه في الليلة السابقة، فعندما يخبرونكم (هذا إن فعلوا) فستتمنون لو أنكم لم تسألوهم. وفي كل الأحوال ليس أمراً صائباً أن تتصلوا بهم كل يوم فهم بحاجةٍ للاستقرار وربما يجعلهم صوتكم القلق في الطرف الآخر يشعرون بالاضطراب. ولدى ذهاب الأولاد إلى مدرسةٍ داخلية فغالباً ما يوجد قانون يحظر على الآباء الاتصال بأبنائهم في الأسبوع الأول أو الأسبوعين الأوليين، وبالرغم من أن ذلك أمرٌ مؤلمٌ إلا أن هناك سبباً وراءه، فهم بحاجةٍ لأن يتعودوا على الأجواء الجديدة بمعزلٍ عن أي شخصٍ يجعلهم يشعرون بالحنين إلى المنزل.

نصيحة

- يمكنكم بالإضافة إلى الاتصال أو عوضاً عنه كتابة رسالة حافلة بالأخبار أو يمكنكم إرسال بطاقة لطيفة، ففي هذا العصر الإلكتروني تُعدّ قراءة شيءٍ مكتوب على الورق وتمكن إعادة قراءته بدلاً من حذفه أمراً مريحاً، كما أنه لا مانع من وضع ورقةٍ من فئة الخمسة جنيهات مع الرسالة إذ سيبدو ذلك لطيفاً.
- عليكم ألا تتصلوا بهم كل يوم وفي أية ساعة فهم بحاجة إلى فرصةٍ ليشعروا بالاستقرار وعليكم تعويد أنفسكم على ذلك.
- تعلموا أن تكتبوا لهم إذ يُعدّ ذلك أقلّ تطفلاً من إجراء مكالمة هاتفية وبذلك لن تقطع على ابنك حديثه مع شخص أو قيامه بشيءٍ آخر.

الأثر على الأولاد الآخرين

إذا كان لديكم أولادٌ آخرون فيمكنكم إلهاء أنفسكم برعايتهم، فهم أيضاً سيشعرون بالانزعاج إلى حدٍ ما ليس بسبب قيامكم بتجاهلهم خلال الشهر الماضي وأنتم تبذلون الجهود الجبارة لإيصال أخيهم للجامعة بل لأنهم سيفتقدون أخاهم/أختهم مهما كانوا يشعرون بالكره تجاههم عندما كانوا تحت سقفٍ واحد.

ومن الأشياء التي لم أكن قد فكّرت بها ـ حتى ذهاب ابننا إلى الجامعة ـ الأثر الذي تركه غيابه على تصرفات العائلة، فإذا كان

لديكم ثلاثة أولاد فمن المحتمل انسجام اثنين منهم بشكلٍ كبير ولذلك عندما يرحل أحدهم سيقوم الأولاد بإعادة صياغة علاقتهم ببعضهم، فربما سيحبون بعضهم أكثر من قبل وربما أقل، وتكمن صعوبة مهمتك في إبقاء حبل الودّ موصولاً بينهم.

كما أنه ليس أمراً عادياً أن يقلّ عدد الأولاد الذين تتحملون أعباءهم، فقد مرّت سنوات وأنتم تشتكون من صعوبة التعامل مع تلك الأعباء، وفجأةً يقلّ عدد الذين تقومون بخدمتهم فرداً لتجدوا أن الأمر ليس سهلاً فقد بقيتُ لبضعة أسابيع وأنا أقوم بإعداد المائدة لخمسة أشخاص بدلاً من أربعة.

عليكم عدم الشعور بالخوف إذ سيحدث ذلك عند استيقاظكم في الليل، وسوف تعتادون تدريجياً على ذلك أو كما أخبرتني كلير رينر ذات مرة خلال مقابلةٍ معها " كل شيءٍ سينقضي سواء أكان جيداً أم سيئاً"، ومع مرور الأسابيع ستجدون أنكم تستجمعون قواكم وترعون أبناءكم، اثنان بدلاً من ثلاثة؟ واحدٌ بدلاً من اثنين؟ إن ذلك أمرٌ جيد لأنه سيمنحكم فرصة إعطاء وقتٍ أكبر لرعاية باقي أبنائكم.

ولسببٍ نجهله لا يُقدِّر الأبناء الباقون دائماً تلك الرعاية، فقد انتحب أحد أولادي قائلاً: "لا أحب أن أكون الابن الوحيد في المنزل" وذلك عندما كانت أخته في رحلةٍ مدرسية وأخوه الأكبر في الجامعة، ولذلك عليكم عدم المبالغة في التعامل معهم فوجود ابن واحدٍ في المنزل لا يعني مراقبة كل تصرفاته وعليكم إفساح المجال له.

وماذا سيحدث عند مغادرة الولد الأخير إلى الجامعة؟ في هذه المرحلة عليكم إعادة اكتشاف أنفسكم وشريككم (هذا إذا كان ما زال لديكم شريك)، ويعدّ ذلك أمراً حاسماً ومهماً ويحتاج إلى حيّزٍ أكبر للحديث عنه (انظر الفصل الحادي والعشرين).

وخلال هذه الفترة عليكم تشجيع أبنائكم الآخرين للبقاء على اتصال مع أخيهم الجامعي الأكبر سناً حتى ولو كانوا يفتقدون لتلك المشاعر القوية تجاه بعضهم إلا أن بقاءهم على اتصال يُعدّ أمراً أساسياً في تقاربهم مستقبلاً، إذ إنّ من السهل في هذه المرحلة حدوث فتورٍ في علاقتهم ببعضهم لأنهم لم يعودوا يعيشون تحت سقف واحد، لذلك قوموا بتشجيعهم على كتابة رسائل إلكترونية أو التواصل المباشر عبر الحاسوب (MSN) أو حتى بكتابة رسائل عادية. لقد كان ابننا الصغير يفتقد أخاه كثيراً لدرجة أنه انتقل للعيش في غرفته بشكل مؤقت من أجل الشعور بالراحة وكان يعود إلى غرفته في أثناء العطل.

وعليكم مهما كلفكم الأمر عدم القيام بإجراء تغييراتٍ فورية على غرفة ابنتكم فهي تحبّ أن تجد كل شيءٍ على حاله لدى عودتها. إني أعرف شخصاً قام بتأجير غرفة نوم ابنته وعندما انتهى الفصل الدراسي لم تعد الفتاة إلى المنزل. هل تلقون باللوم عليها؟

رواية شخصية

لقد كانت إحدى صديقاتي تشعر بالسأم فابنتها نادراً ما تتصل بها؛ لذلك قامت بتشجيع ابنتها على الاشتراك في موقع Yahoo والانضمام للمحادثة مع الأهل والأصدقاء. لقد كان ذلك مريحاً أكثر من إجراء اتصال هاتفي فقد علمت صديقتي عن ابنتها كل أنواع الأخبار التي كانت تريد معرفتها والتي ما كانت ستحصل عليها من خلال الرسائل الإلكترونية «كانت تسجل دخولها وعندما ترى أننا نتحادث سرعان ما كانت تنضم إلينا، لقد كانت تقوم بذلك أكثر من قيامها بكتابة رسالة إلكترونية رسمية لنا».